

الإخباريات في شعر الطيور الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري

ملخص:

تهدف الدراسة إلى تقصي ذكر الطيور في مدونات عدد من شعراء القرن الخامس الهجري في بلاد الأندلس، من حيث أنواعها واختلاف نظرة الشعراء إليها، وقد وُظف المنهج التداولي، باعتباره من أهم الآليات الفعالة التي اعتمدها البحث اللغوي المعاصر في مقاربة مختلف النصوص الأدبية، وتنحصر الدراسة بالتدقيق في جزئية واحدة تتمثل في الإخباريات وهي أولى التصنيفات التي وضعها سيرل في بيانه لأنواع الأفعال الكلامية، واحتوت الدراسة بدايةً بياناً لذكر الطيور في القرآن الكريم والموروث الثقافي الإنساني، ثم تحليلاً للإخباريات الواردة من خلال عرض نماذج وتحليلها.

الكلمات المفتاحية: الطيور - القرن الخامس الهجري، الأندلس، الإخباريات، سيرل

هناء شبايكي

كلية الآداب و اللغات
جامعة العربي بن مهيدي
أم البواقي

مقدمة:

خط علماؤنا الأوائل مصنفات نفيسة في موضوع الحيوان نذكر منهم: الجاحظ (ت255هـ) في موسوعته الحيوان، أبو حيان التوحيد (ت414 هـ) في "الإمتاع والمؤانسة"، ابن سينا (ت428هـ) في كتابه الكبير "الشفاء"، القزويني (ت682هـ) في كتابه "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، الدميري (ت808هـ) في كتابه "حياة الحيوان الكبرى".

Abstract:

This study aims at investigating reference to birds in the writings of a number of the fifth hijri century poets in ANDALUSIA, focus is on birds types and the way they are viewed by poets. The PRAGMATIC approach was used being considered one of the most effective tools underlying modern linguistic research when it comes to approaching diverse literary texts. More specifically, the study targets 'INFORMATIVES' put forth by 'SEARLE' in his speech acts theory. This study includes at first a survey of birds reference in AL QURAN and the human cultural heritage, then an analysis of the informatives found by presenting models and analysing them.

وقد حوت هذه الكتب - وغيرها من المصنّفات- في طياتها كثيرا مما تعلّق بسلوك الحيوان وطباعه وانفعالاته وطرق عيشه، مما يؤكد اهتمام الفكر العربي -عموما- بموضوع الحيوان منذ القدم، فالحيوان عموماً والطير خصوصا - موضوع دراستنا- يشارك الإنسان حياته منذ الأزل فوق أرض واحدة وفضاء واحد.

وبعد البحث في تجليات هذه العلاقة موضوعاً ذا أهمية بالغة وظاهرة لها تميّز بـ... في نواح عديدة، والمتأمل في شعرنا العربي عبر مختلف العصور الأدبية يلمس حضوراً واسعاً لموضوع الطيور.

فكيف بدا ذكر الطيور في القرآن الكريم؟ وكذا في الموروث الثقافي الإنساني؟ ثم كيف كانت نظرة الشعراء الأندلسيين للطيور في القرن الخامس الهجري؟ وما هي أشهر أنواع الطيور المتواجدة في بلاد الأندلس؟ وهل اختلفت دلالات توظيفها عند الشعراء؟

أولاً: الطيور في القرآن الكريم

تعدّ الطيور أمة من الأمم التي خلقها الله عزّ وجلّ، صوّرها في أحسن صورة وأجمل لون وعظّمها بذكرها أكثر من مرة في القرآن الكريم، واستخدمها كمضرب للأمثال وعبرة لمن يعي.

- يقول الله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}¹.

في الآية خطابٌ للمشرّكين ودعوة إلى التّبصّر والتّعجب في خلق الطّير فطيرائه في الهواء مع ثقل جسمه مما يُعجب منه ويُعتبر به، لقد خلقت الطّير (مسخّرات) بمعنى مذلات للطيّران، بما خلق الله لها من الأجنحة والأسباب المواتية، قال أبو عبد الله الرّازي: هذا دليل على كمال قدرة الله وحكمته، فإنّه تعالى خلق الطائر خلقه معها يمكنه الطيران، أعطاه جناحاً يبسطه مرة ويكّنه أخرى مثل ما يعمل السّابح في الماء، وخلق الجوّ خلقه يمكنه معها الطيران، ما يمكنه في قبضه وبسطه ووقوفه إلا الله عزّ وجلّ وفي ذلك التّذليل والإمساك لدلالات لقوم يؤمنون بما يرونه من الأدلة على قدرة الله².

ثانياً: الطيور في الموروث الثقافي الإنساني

تشارك الطيور الإنسان الحياة على أرض واحدة وفضاء جغرافيّ واحد، فأينما ذهبت أو سافرت من المحتمل أن ترى أنواعاً مختلفة من الطيور وتسمع القصص والحكايات الشعبيّة عن هذه المخلوقات الجميلة والغامضة في بعض الأحيان، وعلى هذا النحو ظهرت الطيور في الفولكلور في العديد من الثقافات ومجموعة متنوّعة من الخرافات والأساطير والحكايات والمعتقدات التي تدور حول مختلف أنواع الطيور وترمز الطيور المحلّقة في السّماء إلى القوّة والحريّة على مرّ العصور³.

كانت الطيور في كثير من الخرافات والأساطير الخيط الواصل بين العالم البشريّ والعالم الإلهية أو الخارقة، كما أنّ لبعضها أدواراً متعدّدة في الفولكلور سواء بوصفها رسلاً للآلهة أو طواع مرعبة فمنها ما هو مقدّس والبعض الآخر تحتقر لجليلها النّحس⁴.

يعتقد البعض أن غراباً ألقى الحصى في المحيط الأزرق لتتشكّل بذلك قارّات العالم في النّهاية، ويعتقد أيضاً أن الغراب الإلهة هو المسؤول عن خلق الحيوانات والبشر وعلى العكس من ذلك ينعت الغراب عند بعض الشعوب الأخرى بنذير الخراب والموت، كما يحضر طائر اليوم عادة في فولكلور عدد من الثقافات ولعدة قرون اعتبر اليوم حاملاً للنّبوة وكانت تعتبر رمزا للحكمة، أما النّسر - ويسمّى ملك الطيور- فإنه يرتبط في أغلب الأحيان بالآلهة أو الملك القديم وتظهر رسومات في الشرق الأدنى القديم الشّمس محاطة بأجنحة النّسر في إشارة إلى أن الطيور كانت مرتبطة بالهة الشّمس، أما الحمام فكان رمزا للحبّ والخصوبة في حضارات الشرق الأدنى القديم واليونان، وفي الصّين يرمز الحمام إلى الهدوء والإخلاص في الزّواج، في حين أنّه يجسّد الرّوح في الهند⁵.

لقد حملت الأساطير حكايات الخير والشرّ عن الخفافيش، وربطت الأساطير الصّينية الخفافيش بالحظّ الجيّد، أمّا السّرّب المكوّن من خمسة خفافيش فإنه يمثّل الأبواب الخمسة للسّعادة وهي: الثّروة، الصّحة، طول العمر، الفضيلة والموت الطّبيعيّ، إلّا أنّ هذا الطائر يرتبط في بعض الأساطير الأخرى بالسّحرة أو الأرواح الشريرة وعادة ما تصوّر الشّياطين على شكل أجنحة الخفافيش⁶.

ثالثاً: الإخباريات ASSERTIVES

يُعدّ البحث في الأفعال الكلامية بحثاً في صميم التداولية اللغوية، بل إنّ التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفةً للأفعال الكلامية.

إذ تُعدّ الأفعال الكلامية الأساس الجوهري الذي انبنى عليه الاتجاه التداولي، وضعه الفيلسوف "أوستن" وطوّره من بعده تلميذه "ج. سول".

لقد جعل سيرل الأفعال الكلامية خمسة أصناف هي: الإخباريات assertives، التوجيهيات directives، الالتزاميات commissives، التعبيريات expressives، الإعلانيات declarations.

إن الإخباريات هي أولى التصنيفات وتعرف أيضاً بالتمثيلات، التأكيديات، التقريريات، الجزمات أفعال الإثبات - الإثباتيات.

الغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية Proposition يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم words-to-world.⁷

والهدف من الإخباريات تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم، وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوة.⁸

ويشمل هذا القسم من أفعال الكلام كلّ الأفعال والعبارات التي تصف وقائع وأحداثاً في العالم الخارجي، وغرضها الإنجازي هو أن تنقل هذه الوقائع بأمانة، ولن يتأتى ذلك إلا بتوفر شرط القصد في الإبلاغ.⁹

من شواهد الإخباريات عند شعراء القرن الخامس الهجري والتي حملت في طياتها ذكر الطيور ما يأتي:

1- في ذكر الغراب

❖ يقول ابن الحداد الأندلسي:¹⁰

ت1- وَالنَّاسُ أَغْرَبَةٌ إِذَا قَاتَ سَتَهُمْ وَأَخُو الْمُصَافَاةِ الْغُرَابُ الْأَبْيَضُ

استعمل ابن الحداد الأندلسي في التركيب (ت1) الفعل (قَاتَيْسَ) في صيغة الماضي، والغرض الإنجازي العام هنا هو التقرير، إذ ينقل الشاعر صورة معينة عن واقع معين يخبر فيه بأن ليس له أصدقاء يؤتمنون، وقد وظّف طائر الغراب في لفظ (الأغربة) جمع غراب، وهو طائر أسود من أخبث الطيور يضرب به المثل في الشؤم فيقال: أشأم من غراب، وأفسق من غراب، وأشأم من غراب البين، والغراب الأبيض يضرب به المثل في الندرة لأنه لا يكاد يوجد وكذلك هم الأصدقاء المؤتمنون نادرون.

❖ يقول ابن خفاجة الأندلسي:¹¹

ت2- وَرُبَّ لَيْلٍ سَهَرْتُ فِيهِ أَرْجُرُ مِنْ جُنْحِهِ نَكَابًا

وَشَقَّ سِرْبَالَهُ وَجَّابًا حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَالَتْ سَكْرًا

وَحَامَ مِنْ سُذُفِهِ غُرَابٌ طَالَتْ بِهِ سِلُّهُ فَشَابًا

أَزْدَدْتُ مِنْ لَوْعَتِي خَبَالًا فَحَنَّتْ مِنْ غُلَّتِي شَرَابًا

ويقول ابن خفاجة أيضاً:¹²

ت3- كَأَنِّي وَقَدْ طَارَ الصَّبَاخُ حَمَامَةً يَمُدُّ جَنَاحَيْهِ عَلَيَّ غُرَابٌ

وظّف ابن خفاجة في التركيب (ت2) جملة من الأفعال في صيغة الماضي "سَهَرْتُ، مَالَتْ، شَقَّ، جَابًا، حَامَ، طَالَتْ، شَابًا، أَزْدَدْتُ، حَنَّتْ" لينقل واقعة معينة بتوظيفه طائر الغراب في صورة بيانية رائعة، فالشاعر يخبر عن طول فراقه لمحبوته طويلاً يجعل الغراب الأسود يشيب - والغراب لا يشيب - وقد كان للماء دور مهم في إيضاح وصفه لحالته النفسية و لوعته وشوقه للمرأة، إذ يصف نفسه قبل قدومها إليه وقد انهمرت دموعه شوقاً، وكان جفنيه مسيل دموع، ونجده في التركيب (ت3) يخبر عن حالة نفسية تعتريه، بتوظيفه الفعل الماضي (طَارَ) والغرض الإنجازي العام هنا هو التقرير، فالشاعر يحسّ بأنه مطارّد من قبل المنايا، كما لو كان حمامة وديعة يطير الغراب ليقتنصها، وفي ذلك إشارة للموت، وتلك

سنة الله في الكون فلا بقاء لحَيٍّ، والموت شرّ كلِّ النَّاسِ ملاقيه، فصار الغراب بسواده موتاً مخيفاً يتصيّد الشاعر.

❖ يقول ابن دراج القسطلي: 13

ت4- وَغَيْبَتْ مُعْرَى بِالْغَوَانِي وَالصَّبَا
فِي غَمْرَةٍ لَا تَنْقُضِي نَشْوَانَهَا
أَيَّامٌ لَا نَزَاغَ مِنْ صَرْفِ النَّوَى
أَيَّامٌ وَجْهُهُ الدَّهْرُ نَحْوِي مُشْرِقٌ
وَاللَّهْرُ وَاللَّذَاتُ قَدْ تُغْرَى بِـ
مِنْ صَرْفِ كَأْسٍ أَوْ جُفُونِ كِتَابٍ
أَمْنًا وَلَا تُصْنَعِي لِنُغْصِبِ غُرَابٍ
وَمَحَاسِنُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ نِقَابٍ

يخبر ابن دراج القسطلي في التركيب (ت4) عن حاله وقت شبابه وصباه، وانصرافه إلى الملذات، إذ كان لا يسعى -على غرار أقرانه- إلا إلى البحث عن الفرح والسعادة والنشوة، وقد وظّف الفعل الماضي (غَيْبَتْ) ليفيد التقرير، وينقل واقعا معينا عايشه الشاعر فيما مضى، لينتقل إلى توظيف جملة من الأفعال في صيغة المضارع (تَنْقُضِي، نَزَاغَ، تُصْنَعِي) والانتقال من الماضي إلى المضارع لم يأت اعتباطاً من الشاعر، فالمضارع يفيد الحال والمستقبل والاستمرارية، تعبيراً منه عن طول المدة التي بقي فيها على تلك الحال ليحدّر من خلالها الشاعر عن سوء حال أو سوء عاقبة، وجاء توظيفه لطائر الغراب مناسباً تماماً للحالة النفسية التي تنتابه فنعيب الغراب طالما أنبأ بالشؤم.

❖ يقول ابن زيدون: 14

ت5- مَا الْهَجْرُ إِلَّا الْبَيْنُ لَوْ لَا أَنَّهُ
لَمْ يَسْخُ فَاهُ بِهِ الْغُرَابُ نَعِيْبًا
يَقْرُ ابن زيدون في التركيب (ت5) بأن الغراب استثناء - وفي هذه المرة - لم يصدر صوت نعيبه ليخبر بذلك الهجر المميت، والتعيب نذير الفراق عند العرب ويسمّون الغراب الأبقع غراب البين، وما رؤية الغراب إلا دليل على الهجر والبين، وما التعيب إلا تأكيد على ذلك، والغرض العام في هذا التركيب هو التقرير لنقل وضع معين لفائدة المتلقي.

❖ يقول ابن حمديس الصقلي: 15

ت6- أَنَا مَنْ صَاحَ بِهِ يَوْمَ النَّوَى
عَنْ مَعَانِيهِ غُرَابٌ فَأَغْتَرَبَ

ويقول أيضاً: 16

ت7- أَشَارَتْ وَحُبُّ الدَّمْعِ دَائِمَةُ السَّفْحِ
فَقُلْتُ أَقِيمِي مِنْ عَقَاصِكَ صَبْغَةً
عَسَى طَوْلُهُ تَنْثِي عَنِ الْبَيْنِ غُرْهُمُ
بِأَنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ يَنْعَبُ فِي الصُّبْحِ
عَلَى اللَّيْلِ تَهْدِي مِنْهُ جُنْحًا إِلَى جُنْحٍ
وَيُفْضِي بِهِ حَزْبُ الْفِرَاقِ إِلَى الصُّلْحِ

نجد ابن حمديس الصقلي يخبر في التركيب (ت6) عن واقع معين عايشه ميّزته الغربة و البعد عن صقلية، بتوظيفه الفعلين الماضيين (صَاحَ، اغْتَرَبَ)، والماضي عمومًا يفيد التقرير، حتّى صار الشاعر لا يسمع إلا نعيب الغراب، نذير الفراق والبعد، ولعلّ الغريب عادةً ما يكون صادقاً في تعبيره وإخباره عن حاله لأن الغربة لا يشعر بها إلا من عاشها وعرف مرارتها، وهو في التركيب (ت7) قد وظّف جملة من الأفعال (أَشَارَتْ، قُلْتُ، يَنْعَبُ، تَهْدِي، تَنْثِي، يُفْضِي) تنقل إلى ذهن المتلقي وقائعا يقصد من خلالها الشاعر الإخبار بأن محبوبته قد قالت له والدّموع تنزل من عينيها، بأنّها لاحظت غراب البين ينعب في الصبح مخبراً عن وقت الرحيل، وقد جاء انتقال الشاعر من توظيف الأفعال في زمن الماضي إلى المضارع رغبة منه في تغيير الحال و الطّموح لمستقبل أفضل، ويبقى دائماً توظيف الغراب عند الشعراء مرتبطاً بالتعبير عن المشاعر التي تصحب البين والهجر والفراق.

❖ يقول ابن اللبانة الداني: 17

ت8- وَفِي الْقَيْظِ مَا يَدْعُو الْبَيَاضَ لِلْأَيْسِ
لَيْسَتْ سَوَادًا وَالْجَمِيعُ مُنْيَضٌ
يخبر ابن اللبانة الداني في هذين البيتين (ت8) عن حالة نفسية معينة، إذ انتابه حزن شديد جعله على خلاف جميع النَّاسِ يرتدي سواداً في شدة القَيْظِ حتى غدا كالغراب بين الحمام، وهو بتوظيفه لطائر الغراب قد رسم صورة واضحة في ذهن المتلقي كما لو أنه يرى ذلك صوب عينيه.

❖ يقول المعتمد: 18

ت9- غَرَبَانٌ أَغَمَّتْ لَا تُعَدُّ مِنْ طَبِيبَةٍ مِنْ اللَّيْلِ يَالِي وَأَفْنَانًا مِنَ الشَّجَرِ
كَمَا نَعْبُثُ لِي بِالْفَالِ يُعْجِبُنِي مُخْبِرَاتٍ بِهِ عَنْ أَطْيَبِ الْخَبَرِ
أَنَّ النُّجُومَ الَّتِي غَابَتْ قَدْ أَفْتَرَبْتُ مِمَّا مَطَالَعُهَا تُسْرِي إِلَى الْقَمَرِ
عَلَيَّ إِنْ صَدَّقَ الرَّحْمَنُ مَا رَعَمْتُ أَلَّا يَرْوَعَنَّ مِنْ قَوْسِي وَلَا وَتْرِي

يحيد المعتمد بن عباد في التركيب (ت9) عن قاعدة ارتباط توظيف الغراب بالفراق والبين، فقد وظف جملة من الأفعال في صيغة الماضي (نَعْبُثُ، غَابَتْ، أَفْتَرَبْتُ، رَعَمْتُ)، ليعبر عن وقائع معينة تنقل إلى ذهن المتلقي صورة صادقة عن ما يعيشه في سجنه، إذ حمل له نقيب غربان أغمات الفأل الحسن، إذ بعد إصدارها لتلك الأصوات بجوار المكان الذي كان أسيرا فيه، ورد إليه النبا بقدم بعض نساؤه عليه، كأن الغربان أرادت بذلك التعبير إخباره بقدمهن، حتى إنه وعد أن لا يروّع الغربان ما عاش إن صدق نبيها، والغرض الإنجازي العام هنا هو التقرير ونقل الأحداث.

2- في ذكر العصافير

❖ يقول ابن حمديس الصقلي: 19

ت1- وَرَوْضَةُ حُسْنٍ عَرَدَتْ فَوْقَ نَحْرِهَا عَصَافِيرُ حَلِي تَلْقُطُ الدُرَّ لَا الْحَبَا
يخبر ابن حمديس الصقلي في التركيب (ت1) عن واقعة معينة غرضها الإنجازي التقرير من خلال توظيف الفعلين (عَرَدَتْ، تَلْقُطُ)، ينقل من خلالها الشاعر إلى ذهن المتلقي أحداثا بعينها عايشها الشاعر، إذ شبه الروضة بالمرأة تطير فوق نحرها عصافير استغنت عن النقاط الحب وصارت تلقط الدرّ، وهو ما تنزيه به المرأة عادة، في إشارة لجمال هذه المرأة.

3- في ذكر العقاب

❖ يقول ابن خفاجة الأندلسي: 20

ت1- طَافَتِ الظَّلَامُ بِهِ فَاسْرَجَ أَذْهَمَا وَسَمَا السَّمَاءَ بِهِ فَاسْرَجَ لَهُدَمَا
وَسَرَى يَطِيرُ بِهِ عَقَابٌ كَاسِرٌ أَمْسَى يُلَاعِبُ مِنْ عَنَانٍ أَرْقَمَا
مِنْ لَيْلَةٍ غَنِيَتْ فِيهَا أَنْفَتِي طَرَبًا وَأَسْعَدَنِي الْمَطِيُّ فَأَرْزَمَا
ينقل ابن خفاجة الأندلسي في التركيب (ت1) إلى ذهن المتلقي جملة من الأحداث عن طريق توظيفه لأفعال معينة جاء جملها في صيغة الماضي الذي يفيد التقرير (طَافَتِ، سَمَا، أَسْرَجَ، سَرَى، أَمْسَى، غَنِيَتْ، أَسْعَدَنِي، أَرْزَمَا) ليصف ليلة وقد صار ظلامها سراجا لفرسه، وسما النجم فعلا وارتفع وبدا يحلق في السماء عقاب كاسر مستمتع بتحليقه، وهنا نجد الشاعر قد وظف طائر العقاب ووصفه بالتحليق ليلا، في حين يعرف على العقبان أنها تصطاد بالنهار بينما تمضي الليل في أوكارها أو في مجثم آمن، إن خروج العقاب ليلا على غير العادة يبين أن هذه الليلة مميزة جدا إذ بدا فيها الشاعر متغنيا طربا فرحا متفاعلا مع ناقته التي حنت فأنته طوعا.

يقول ابن الرقاق البلنسي: 21

ت2- رَايَاهُ وَالنَّصْرُ مَعْفُودٌ بِهَا كَقُلُوبِ أَهْلِ الشَّرِكِ فِي الْخَفَقَانِ
وَجُنُودُهُ كَالْأَسَدِ مَأْلُفُهَا الشَّرَى وَالصَّافِنَاتُ الْجُرْدُ كَالْعُقْبَانِ
تَطَأَ الْجَمَاجِمَ تَحْتَهُمْ فَكَأَنَّمَا قَدْ أَنْعَلُوا بِالْهَامِ كُلَّ حَصَانِ
شبه ابن الرقاق في التركيب (ت2) رايات الجيش المنصور بقلوب أهل الشرك في الخفقان، ومما لا شك فيه أن الخوف الذي يعتري ويسيطر على المشركين عظيم مما يجعل أفئدتهم تكاد تنفجر، وكذلك هي رايات الجيش المسلم التي تهتز فرحا وعزا بانتصارها، وشبه جنود الجيش بالأسد على خيول كالعقبان، وتشبيه الخيول بالعقبان يدل على قوتها وبسالتها، فالعقاب من أقوى الطيور الجارحة في العالم، إن الغرض الإنجازي العام هنا هو التقرير ونقل الأحداث بصدق.

❖ يقول ابن اللبابة الداني: 22

ت3- رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ الْعُقَابِ فَأَصْبَحُوا نَشَاوَى مِنَ الْبَلَاوَى كَأَنَّهُمْ شَرِبُوا

يخبر ابن اللبّانة في التّركيب (ت3) عن واقعة معيّنة يصفها بدقّة في هذه القصيدة، التي يمدح فيها المتوكّل عند قدومه من بلاد الجوق وقد أوقع بقوم من الجناة، وقد وظف الفعل الماضي (زغاً) ليفيد التّفريز ونقل الأحداث، ففي هذا البيت من القصيدة يصف قوّة المتوكّل وجنوده في إصدارهم رغاء أربع العدو فجعلهم سكارى، والزّغاء في أصله صوت الإبل لكنّ الشاعر استعار هذه الصّفة وألحقها بالعقاب هنا، واستعمل أيضاً لفظ السّقب وهو عادة يطلق على الذّكر من ولد الناقة لكنه أطلقه في هذا البيت على طائر العقاب.

4- في ذكر القطا

❖ يقول ابن الحداد الأندلسي: 23

ت1- أَقْبَلُنْ فِي الْجَبَرَاتِ يَقْصِرُنَ الْخُطَى وَيُرِينَ فِي حُلَلِ الْوَرَاثِينَ الْقَطَا
سِرْبُ الْجَوَى لَا الْجَوَى، غَوْدَ حُسْنُهُ أَنْ يَرْتَعِي حَبَّ الْقُلُوبِ وَيَلْقَطَا
مَالَتْ مَعَاطِفُهُنَّ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا مَيْلًا يُخِيفُ قُدُودَهَا أَنْ تَسْقَطَا

وظف ابن الحداد الأندلسي في التّركيب (ت1) جملة من الأفعال (أَقْبَلُنْ، يَقْصِرُنَ، يُرِينَ، يَرْتَعِي، يَلْقَطَا، مَالَتْ، يُخِيفُ) لينقل صورة معيّنة إلى ذهن المتلقّي مفادها أن الفتيات ومن بينهم محبوبته يتبخترن في ثيابهنّ المزركشة، فيشبههنّ في مشيهنّ بطائر القطا، والعرب تصف القطا بحسن المشي لتقارب خطاها.

لقد اعتادت تلك الفتيات ومن بينهنّ محبوبته أن تحرق سويداء القلب، وهنا يشبّنها بالقطا التي بدل أن ترتعي (ترعى) الحبّ ارتعت حبّ القلوب، وأنّ ليس مجالها الجوّ بل الجوى، لقد جعل الشاعر الصّبا مداً مذهباً للعقول.

ويقول ابن الحداد أيضاً: 24

ت2- وَيَا لَكَ مِنْ نَهْرٍ صَوُولٍ مُجَلِّجٍ كَمَا أَنْ تَرَى مُزْنَ بِهِ دَائِمُ الرَّغْدِ
وَقَدْ وَرَدَتْ فِي غَمْرِهْ نُهْلُ الْقَطَا كَمَا اِزْدَحَمَتْ فِي كَفِّهِ قَبْلُ الْوَفْدِ

يصف ابن الحداد في التّركيب (ت2) الطّبيعة في معرض مدحه للمعتصم، وقد وظف الفعلين في صيغة الماضي (وَرَدَتْ، اِزْدَحَمَتْ)، ليخبر عن أحداث معيّنة ترسم صورة في ذهن المتلقّي إذ يظهر هنا الشاعر ممدوحه بحرّاً من الجود، فيشبهه ازدحام النّاس وهم يقفّلون راحته تعبيراً عن شكرهم إيّاه لفضله بازدهام القطا العطاش وهي ترد الماء للارتواء منه، ويعرف على القطا تميّزها بالنّظام في الطّيران وكذلك تميّز الجمع بالنّظام في تقبيلهم يد الملك.

❖ يقول ابن خفاجة الأندلسي: 25

ت3- وَقَدْ طَلَعَتْ لِلشَّيْبِ بَيْضُ كَوَاكِبٍ أَقْبَلَبُ فِيهَا نَاطِرِي أَتَى خَرَصُ
كَأَنَّ لَمْ أَقْبَلْ صَفْحَةَ الشَّمْسِ لِنَلَّةٍ وَلَمْ يَنْتَعِلْ بِي دُونَهَا الشَّمْسُ أَخْمَصُ
وَلَا بَتْ مَعْشُوقًا تَطِيرُ بِأَضْلَعِي قَطَاةٌ لَهَا يَتْنُ الْجَوَانِحِ مَفْحَصُ

وظف ابن خفاجة في التّركيب (ت3) جملة من الأفعال تتراوح بين صيغتي الماضي والمضارع (طَلَعَتْ، أَقْبَلَبُ، أَتَى، خَرَصُ، أَقْبَلْ، يَنْتَعِلُ، بَتْ، تَطِيرُ)، ليخبر عن وقائع ثابتة تفيد بأن رؤيته للشّيب يزيّن رأسه - واستعار له هنا الكوكب للدلالة عليه - قد جعله في موضع الشكّ لا اليقين إذ طالما تباهى و زها بنفسه كأنّه فوق الشّمس لا يلامس باطن قدمه الأرض، معشوقاً من قبل محبوبته التي يشبّنها بالقطاة واستعمل لفظ المفحص وهو موضع تقلّب فيه القطاة التراب وتكشفه تبيض فيه، ثم يخبر عن ما حلّ به من كبر وتلك الأيام دول، والغرض الإنجازي العام هنا هو التّفريز.

❖ يقول ابن زيدون: 26

ت4- سَلِ الْمَعَشَرَ الْأَعْدَاءُ إِنْ رُمْتَ صَرْفَهُمْ عَنِ الْقَصْدِ إِنْ أَعْيَاكَ مِنْهُ مَرَامُ
أَتَوْكَ كَأَسَاذِ الشَّرَى فَرَدَدْتَهُمْ كَمَا أَجْفَلْتُ وَسَطَ الْفَلَاةِ نَعَامُ
مَضَوْا يَسْأَلُونَ النَّاسَ عَمَّا وَرَاءَهُمْ فَيُخْبِرُهُمْ بِالْمُبْكِيَاتِ عَصَامُ
وَمَا ضَاقَ عَنْهُمْ جَانِبُ الْعُذْرِ كَمَثَلِ الْقَطَا لَوْ يُشْرَكُونَ لَنَامُوا

وظّف ابن زيدون في التركيب (ت4) جملة من الأفعال (رُمْتُ، أَعْيَاكَ، أَتَوَّكَ، فَرَدَدْتَهُمْ، أَجْفَلْتُ، مَضَنَّا، يَسْأَلُونَ، يُخْبِرُهُمْ، ضَاقَ، يُتْرَكُونَ) ليخبر عن واقع معيّن عمد فيه إلى مدح محمد بن جهور وشكر باديس صاحب غرناطة يوجّه خطابه إليه: سل جماعة الأعداء إذ أردت إبعادهم عن غابيتهم وقد عجزت عن إصلاحهم وردّهم عن ضلالهم، لقد أتوك كأسود الغاب فرددتهم كما أجفلت النعام وسط الصحراء، والنعام مشهورة بخوفها السريع، مضى الأعداء هاربين يسألون الناس: ما وراءك عصام؟ فيخبرهم الناس ما يبكيهم، ويخبر ابن زيدون هنا بأن هؤلاء الناس لا ينقصهم عذر فيما أتوا له، فقد حملوا على مكروه لا يريدونه وهم تماما كطائر القطا: لو تركوا لنا موما وهذا مثل يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته.

5- في ذكر القمري

❖ يقول ابن الحداد الأندلسي: 27

ت1- وفي ذلك الوادي رشا أضلعي له كناس، وقمري فؤادي له وكن
يخبر ابن الحداد في التركيب (ت1) عن واقع معيّن ينقل من خلاله تصوّرا إلى المتلقّي، مفاده أنّه قد جعل أضلعه مكانا آمنا لنويرة التي يشبّها هنا بالطّي الصّغير، كما يجعل قلبه مستراحا دافئا لها ويشبّها هنا بطائر القمري وهو طائر حسن الصوت.

❖ يقول ابن زيدون: 28

ت2- أوطار المني تفضي فمن أذمانة تغطو وأسباب الهوى تشفع ومن قمريّة تسجع
ينقل ابن زيدون في التركيب (ت2) إلى ذهن المتلقّي صورة واضحة من خلال استعماله لجملة من الأفعال (تفضي، تشفع، تغطو، تسجع) غرضها الإنجازي العام هو التقرير، إذ يقرّ ابن زيدون بأن أسباب الهوى تشفع له وتجعله يسعى إلى أن يصل محبوبته، التي يشبّها بطيية تتناول للشجرة وكذا بقمرية تنادي فيسمع صوتها.

❖ يقول ابن حمديس الصقلي: 29

ت3- يا صارم الدين الذي في حده طوق ثني يمتا فرحت كأني
يمدح ابن حمديس في التركيب (ت3) الأمير علي بن يحيى، موظفا جملة من الأفعال (يبيد، طوقثني، فرحت) ليخبر عن واقع معيّن يصف فيه الممدوح بأنّه قوي صلب الدين، شبّهه بالسيف في حده موت العدو ذبحا، مخبرا بأنّه قد غمره بركة حتى غدا الشاعر مثل القمري إقصاحا في المدح وعادة ما يرتبط فعل الإقصاح بطائر الحمام – والقمري نوع من الحمام.

❖ يقول أبو إسحاق الإلبيري: 30

ت4- وتائب من ذنبه مشفق تحاله بئين يدي ربه
يبيكي بكاء الواكفات الهئن في ظلم الليل كمئل الغصن
شمر في تمهيد له للجئن وهو بها قمريّة في قئن
وظّف أبو إسحاق الإلبيري في التركيب (ت4) جملة من الأفعال زواج فيها بين الماضي والمضارع (يبيكي، تحاله، مهّد، شمر)، ليعبر عن واقع معيّن ينقل صورة واضحة إلى ذهن المتلقّي، شبّه فيها الرّجل الثائب العابد بطائر القمري، لأن القمري كثير التغريد وكذلك الثائب فهو كثير ذكر الله عز وجل، ويشبّه التّسبيح في تردادده بتغريده ومن هنا سمّي في الشّام بالكريم إذ قالوا إنّه يدعو: يا كريم، يا كريم.

6- في ذكر الطاووس

❖ يقول ابن الحداد الأندلسي: 31

ت1- نوى أجزت الأفلاك وهي النواعج وأطلعت الأبراج وهي الهودج
طاوويس حسن روعثني ببينها غرابيب حزن بالفراق شواجج

وظف ابن الحداد الأندلسي في التركيب (ت1) أفعالا في صيغة الماضي (أَجَرْتُ، أَطْلَعْتُ، رَوَّعْتُ) يخبر من خلالها عن واقع معين، فقد استفتح مديحه للمعتصم بن صمادح على طريقة شعراء الجاهلية، فوصف رحلة محبوبته وانتقالها إلى بلد غير الذي تقيم فيه، كما كانت الأعراب تنتوي في باديتها ولسرعة ناقتها وارتفاع هودجها فقد جارت الأفلاك والأبراج، وشبهها بالطاوس بجامع الجمال من جهة والإعجاب بالنفس من جهة أخرى، ويتشأم ابن الحداد لدى رحيل محبوبته، فتبدو صورة الحاضر والمستقبل أمامه قائمة كالحة، مما يذكره بأصوات الغربان التي تنذر دائما بالفراق (ولعله يشبه نوبرة بالغراب بجامع الخبث وذلك لابتعادها عنه وعدم الالتفات إليه).

❖ يقول ابن اللبابة الداني: 32

ت2- بَلَدٌ أَغَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا وَكَسَاهُ حُلَّةٌ رِيشَةُ الطَّاوُوسِ
يخبر ابن اللبابة في التركيب (ت2) عن واقع معين وظف من خلاله الفعلين (أَغَارَتْهُ، كَسَاهُ)، لينقل إلى ذهن المتلقين أحداثا معينة عن بلده الذي يفخر به لجماله وكان طوق الحمامة يزيّنه وكساه حلة ريشة الطاوس، وجاء توظيف طائر الطاوس مناسبا للدلالة على جمال البلد فجمال ريش الطاوس باهر بألوانه وشكله.

7- في ذكر المكاء

❖ يقول ابن الرقاق البلنسي: 33

ت1- وَرَجَّعَ الْمُكَاءُ تَحْنِينُهُ حَتَّى حَسِبْنَا خَلِيفَ اشْتَبِيَاقٍ
فِي رَوْضَةٍ عَلَّمَ أَغْصَانُهَا أَهْلَ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ كَيْفَ الْعِنَاقِ
وظف ابن الرقاق البلنسي في التركيب (ت1) أفعالا في صيغة الماضي (رَجَّعَ، حَسِبْنَا، عَلَّمَ) غرضها الإنجازي العام التقرير، إذ يقر بأن تغريد طائر المكاء قد جعله وجلساءه يحسبونه صاحب شوق، كأنه إنسان في روضة تعانقت أغصانها وتشابكت، حتى أصبحت مثالا لأهل الهوى العذري في الوفاء وكيفية العناق.

8- في ذكر القشاعم

❖ يقول ابن حمديس الصقلي: 34

ت1- وَمُقْتَجَمُ الْأُيُتَالِ يَبْرُقُ بِالرَّدَى وَتَخْفُقُ فِي آفَاقِهِ عَدْبُ النَّصْرِ
مُحَلِّقَةٌ فِي الْجَوِّ مِنْهُ قَشَاعِمٌ كَلَّانَ سَرَارًا حَشَوُا أَعْيُنَهَا الْخَزْرُ
تَرَوْحُ بَطَانًا مِنْ لُحُومٍ عَدَاتِهِ فَمَا لِقَتِيلِ خَرَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ قَبْرِ
وظف ابن حمديس في التركيب (ت1) جملة من الأفعال في صيغة المضارع (يَبْرُقُ، تَخْفُقُ، تَرَوْحُ) والمضارع يفيد الحال والمستقبل، يمدح من خلالها الأمير يحيى بن تميم بن المعز، واصفا إياه بالقوة إذ تحلق في أجوائه قشاعم وهي صغار النسور يملأ أعينها الشر، هذه النسور تأكل جثث قتلى العدو فما تبقى حاجة لقبر ميت، وجاء توظيف القشاعم مناسبا لهذا الموقف إذ إنها تتغذى عموما على الجيف في سائر أيامها.

ويقول: 35

ت2- وَكَتِيبَةٌ كَتَبَتْ صُدُورُ رَمَاجِهَا لِلْمَوْتِ فِي صُحُفِ الْخَبَايِمِ أَسْطُرَا
مُلِئَتْ بِهَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ ضَرَاغِمًا وَصَلَّادِيمًا وَقَشَاعِمًا وَسَنُورًا
يصف ابن حمديس في التركيب (ت2) كتيبة قوية من الجيش سطرت في التاريخ قوتها إذ كان جنودها في الحرب كالضراغم بمعنى الأسود القوية الشجاعة، وكانوا كالصلادم وهي الذابة قوية الحافر، كما شبههم بالقشاعم وهي النسور في قوتها، كما كانوا سنورا وهو لبوس من سير يلبس في الحرب كالدرع إذ كانت هذه الكتيبة ترتدي لباس الحرب.

9- في ذكر الصقر

❖ يقول ابن خفاجة الأندلسي: ³⁶

ت1- تَأْتِي صُقُورٌ مِنْهُمْ مُنْقَضَةٌ قَدَرًا عَلَى مُهَجِ الْعَدُوِّ مُسْتَأَخَا
وَتَخَابَلْتُ بِهِمُ الْجِيَادُ كَأَنَّمَا شَرِبْتُ مَعَاطِفَ كُلِّ طَرْفٍ رَاخَا

يخبر ابن خفاجة في التركيب (ت1) عن أحداث معينة من خلال الأفعال (تأتي، تخابلت، شربت)، تنقل إلى ذهن المتلقين أحداثا واضحة مفادها وصف معركة شبه فيها الجنود بالصقور في القوة والشجاعة - الصقر من أقوى الطيور الجارحة على الإطلاق- وقد صارت جيادهم لنشوة النصر تهتز كمن أطرب بالخمير فراح يترنح طربا.

❖ يقول ابن زيدون: ³⁷

ت2- كَأَنَّ لَمْ تَسِرْ حُمُرُ الْمَنَآيَا تُظِلُّهَا إِلَى مُهَجِ الْأَقْيَالِ رَايَاتُهُ الْخُمْرُ
وَلَمْ يَحْمِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَى الْهَدَى فَلَمْ يُرْضِهِ إِلَّا أَنْ ارْتُجِعَ النَّعْرُ
وَلَمْ يَتَشَذَّرْ لِلْأُمُورِ مُجَالِيَا إِلَيْهَا كَمَا جَلَى مِنَ الْمَرْقَبِ الصَّفَرُ

أنشد ابن زيدون في التركيب (ت2) قصيدة يمدح فيها المعتمد راثيا أباه المعتضد بالله ذاكرة مناقبه، فقد كان يسير كالموت نحو أعاديه من ملوك حمير وغيرهم، ولا يرضى إلا باستعادة النعور المسلوقة من الأعادي، يشبهه بالصقر الطير الجارح في عليائه (مرقبه: مكان مراقبة الصقر) يرقب فريسته.

ويقول ابن زيدون أيضا: ³⁸

ت3- وَلَا يُغِيظُ الْأَعْدَاءَ كَوْنِي فِي السِّجْنِ فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ تُخْصِنُ بِالدَّجْنِ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الصَّارِمَ الْعَضْبَ فِي جَفْنِ أَوِ اللَّيْثِ فِي غَابٍ أَوْ الصَّقْرِ فِي وَكْنِ
أَوِ الْعَلَقِ يُخْفَى فِي الصَّوَارِ وَيُخْبَأُ

أنشد ابن زيدون في التركيب (ت3) مجموعة من الأبيات وهو في السجن موظفا جملة من الأفعال (يُغِيظُ، رَأَيْتُ، كُنْتُ) يخبر من خلالها المتلقين بأنه يذكر قرطبة وأيام صباه فيها، و يوجه خطابه لأعدائه بأن لا يفرحوا لكونه مسجوناً لأنه عما قريب سيخرج إليهم، يشبه نفسه بالشمس تحجبها الغيوم، وبالسيف القاطع في غمده، وكذا بالليث في الغاب والصقر القوي في الوكن وكذلك هو يشبه نفسه بالمسك في وعاء حفظه، إن هذه التشبيهات كلها تنبئ عن أن الغياب مؤقت وأن الخروج محقق.

❖ يقول ابن حمديس الصقلي: ³⁹

ت4- حَيَاةُ إِبْنِ يَحْيَى لِلْأَعَادِي مَنِيَّةٌ وَأَعْمَارُهُمْ مَبْنُورَةٌ مِنْهُ بِالْعَمْرِ
لَقَدْ فَخَرْتُ مِنْهُ الْعُلَى بِسَمِيذَعٍ لِإِحْسَانِهِ وَجْهَ تَبَرُّقٍ بِالْبَشْرِ
بِأَكْبَرَ يَسْتَسْخِذِي لَهُ كُلُّ أَكْبَرٍ فَيُطَرِّقُ إِطْرَاقَ الْبُعَاثَةِ لِلصَّفَرِ
إِذَا مَدَحَ الْأُمْلَاكُ قَامَ بِمَدْحِهِ لَهُ قَدَمُ الدُّنْيَا عَلَى قَدَمِ الْفَخْرِ

أنشد ابن حمديس الصقلي هذه الأبيات في التركيب (ت4) مهنتا علي بن يحيى فحياة هذا الأمير موت في عين أعاديه، تفخر به العلى لكرمه وجوده كأن وجهه مغطى بالبشر، يذل له كل كبير فيطرق كما تطرق البعثة للصقر (والبعث طائر صغير لونه لون الغبار، بطئ الطيران، طويل العنق) وللمتلقي أن يتخيل كيف يطرق الآخرون للأمير كما ينحني البعث بضغفه للصقر بقوته.

10- في ذكر البلابل

❖ يقول ابن زيدون: ⁴⁰

ت1- إِنْ تَغَيَّيَ الْبُلْبُلُ اهْتَأَا جَ غَنَاءِ الْوَرَشَانِ
فَتَدَادَى مِنْهُ بَيْتَا غَزَلِ مُنْفَرِدَانِ
لِمُجَبِّ فِي حَبِيبٍ عَنْهُ نَاءٌ مِنْهُ دَانِ:
يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو لَا يَقْلَبِي وَلِسَانِي

رَبِّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْمُ _____ رُفَادُنْتُكَ الْأَمَانِي
أنشد ابن زيدون هذه الأبيات في قصيدة ردًا على رسالة أرسلها له الوزير الفقيه أبو طالب بن مكي تحوي بيتين من الشعر يقول فيهما:

يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو _____ لَا بِقُلُوبِي وَلَسَ _____ اني
رَبِّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْمُ _____ رُفَادُنْتُكَ الْأَمَانِي

يخبر ابن زيدون بأن غناء البلبل قد ذكره بغناء نوع من الحمام - يتميز بوجود بياض فوق ذنبه - حرّك فيه ملكة الشعر فأنشد بيتين شعريين لمحبب في حبيب.

يقول ابن حمديس الصقلي: 41

ت2- وَمَا أَرْقُ الْأَجْفَانُ إِلَّا بِلَابِلٍ _____ تُسَامِرُهَا بَيْنَ الصُّلُوعِ بِلَابِلٍ
رَقِيقَةُ أَطْرَاقِ الْغِيَاءِ كَأَنَّهُ _____ إِذَا طَافَتْ بِالْأَسْمَاعِ جَرَسُ الْخَلَاخِلِ
وظّف الشاعر في التركيب (ت2) جملة من الأفعال (أَرْقُ، تُسَامِرُهَا، طَافَتْ) تنقل إلى ذهن المتلقي صورة معيّنة مفادها بأن أصوات البلابل قد أسهرت أجفانه ومنعته النوم، إذ إنّها تتفاعل مع ما يختلج صدره من أحاسيس يصفها بأنها رقيقة الصوت كصوت جرس الخلاخل التي تنزّين بها المرأة عادة، وتعرف البلابل بأنها جميلة الألوان، حسنة الصوت.

11- في ذكر النسر

❖ يقول ابن خفاجة الأندلسي: 42

ت1- وَصَهْوَةٌ عَزِمَ قَدْ تَمَطَّيْتُ وَالدُّجَى _____ مُكِبٌّ كَأَنَّ الصُّبْحَ فِي صَدْرِهِ سِرٌّ
وَأَشْرَفَ طَمَاحُ الدُّوَابِّ شَامِخٌ _____ تَنْطَقُ بِالْجُورَاءِ أَثِلًا لِسُهُ خَصَرٌ
وَقُورٌ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي كَأَنَّمَا _____ يُصِيخُ إِلَى نَجْوَى وَفِي أُنْذِهِ وَقُرٌ
وَلَاذٌ بِهِ تُسَرُّ السَّمَاءُ كَأَنَّمَا _____ يَحْنُ إِلَى وَكْرٍ بِهِ ذَلِكَ السُّتُورُ
يصف ابن خفاجة الأندلسي في التركيب (ت1) وقائع معينة عايشها من خلال جملة من الأفعال (تَمَطَّيْتُ، أَشْرَفَ، تَنْطَقُ، يُصِيخُ، لَاذٌ، يَحْنُ)، ينقل من خلالها صورة إلى ذهن المتلقي تفيد بأنه امتطى فرسه واللّيل مخيم والصّبح غير ظاهر، فهو كالسرّ في صدر صاحبه وقد رأى من بعيد طمّاح الدّوابّ ويقصد به الجبل ويصفه بالشموخ والثبات كأنه رجل وقور يستمع رغم ما به من صمم، ثم ينطلق إلى توظيف طائر النسر ويعرف عنه أنه يسكن الجبال العوالي فكأنما يحنّ هذا النسر إلى وكر بذلك الجبل.

❖ يقول ابن زيدون: 43

ت2- وَفِي نَفْسِهِ الْعَالِيَاءِ لِي مُتَبَوِّأ _____ يُنَافِسُنِي فِيهِ السِّمَّاكَانُ وَالنَّيْسُرُ
يخبر ابن زيدون في التركيب (ت2) بأن له مكانة مرموقة ورفيعة جدا عند ممدوحه -المعتمد بن عباد- حتى إن السّمّاكان وهما كوكبان وكذلك النسر برفعته ينافسونه تلك المكانة عند الملك، وجاء توظيف النسر هنا ملائما جدًا إذ يعرف هذا الطائر بتحليقه العالي جدًا وسكنه في أعالي الجبال.

❖ يقول ابن الزقاق البلنسي: 44

ت3- تَعَسَّ الرَّمَّانُ فَإِنَّمَا أَيَّامُهُ _____ وَمَقَامُنَا فِي ظِلِّهَا أْخْلَامُ
لِتَرَى الدِّيَارَ وَهْنٌ بَعْدَ أَيَّامِهَا _____ دُرُسُ الْمَعَالِمِ وَالْجُسُومِ رِمَامُ
وَالنَّيْسُرُ مُقْتَنَصٌ بِأَشْرَاكِ الرَّدَى _____ وَبِنَاتٍ نَعِشُ فِي الدُّجَى أَيَّتَامُ
يبدو ابن الزقاق من خلال أبياته في التركيب (ت3) ذا نفسيّة سيّئة جدًا فكلّ آماله تحوّلت إلى أحلام في ظلّ هذا الزمن الذي يصفه بالنعاسة، حتّى إنّ النسر وهو اسم لنجم عال صار فريسة لأشراك الرّدى واستعارة اسم طائر النسر لهذا النجم تأكيد آخر لارتباط ذكر النسر عموماً عند الشعراء بالارتفاع والعلو.

12- في ذكر الحجل

❖ يقول المعتمد بن عباد: 45

ت1- وَسَاعَةً لِلزَّمَانِ مُسْعِفَةٌ _____ قَنَصْتُ فِيهَا أَرَانِي _____ بًا وَحَجَلٌ
فَلَا أَرَانِي إِلَّا مَنكُ رَضًا _____ إِنَّ لَمْ أَصِدْ مِنْ عِدَاكَ كُلَّ بَطَلٌ

وظف المعتمد بن عباد في التركيب (ت1) جملة من الأفعال في زمن الماضي الذي يفيد عموماً التقرير (قنصت، أراي، لم أصد) ليخبر عن أحداث معينة حصلت معه في خطاب وجهه إلى أبيه يخبره فيه بأنه يطمح لرضاه وأنه يقف في وجه كل عدو يهدده ويقتصه، تماماً مثلما يقتص في أيامه طائر الحجل

13- في ذكر الهدد

❖ يقول ابن الحداد الأندلسي: 46

ت1- وَقَدْ هَوَتْ بِهَوَى نَفْسِي مَهَا سَبَاً
كَأَنَّ قَلْبِي سُلَيْمَانٌ وَهُدُودُهُ
فَهَلْ دَرَتْ مُضَرٌّ مَنْ نَيْمَتْ سَبَاً
لَحْظِي وَلِبْقِسِ لُبْنَى وَالْهَوَى النَّبَاً

يخبر ابن الحداد في التركيب (ت1) عن أحداث معينة عايشها من خلال توظيف أفعال في صيغة الماضي (هوت، درت) يقر بما وقع له مع محبوبته، فكما كان سباً يسبي العدو فيأسره، كانت محبوبته تسبي قلبه وتأسره بحبها، يتساءل الشاعر هل تدري قبيلتي أن نويرة استعبدتني بهواها حتى أضعت نفسي ودللتني؟

فكان قلب الشاعر هو سيدنا سليمان لما تفقد الطير فلم يجد الهدد - لحظ الشعر - في البيتين، لقد جاء لحظ الشاعر بنبا المحبوبة وهواها، إذ تأثر الشاعر بقوله تعالى: { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانِ مِنَ الْغَائِبِينَ } لِأَعَذَّبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْبَحْنَاهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ { النمل 20-22.

يقول ابن الحداد كما فقد سليمان هدهده فقد قلبي نويرة ولم يعد لحظي يراها وكما أن سليمان زوج بلقيس هدد بن همال أحد ملوك حمير فإن أحد القساوسة سوف يزوج لبني (نويرة) أحد المستعربين، وبذلك أكون قد حرمت منها وبصبح حبي أخباراً تروى على شفاة أهل الأندلس.

14- في ذكر طائر الحدأة

❖ يقول ابن الحداد الأندلسي: 47

ت1- تَجِدُ عَنْ أَفْكَ الْأَمْلاكِ مُجْفَلَةً
وَلَا تُحَوْمُ حَيْثُ اللَّفْؤَةُ الْجَدَاً

ينقل الشاعر في التركيب (ت1) إلى ذهن المتلقي صورة محددة عن واقعة معينة، عن طريق توظيف الفعلين المضارعين (تجد، تحوم)، يخبر من خلالها أن ملوك الطوائف لن يجروا على الوقوف في طريق المعتصم بن صمادح، وقد شبه ابن الحداد ممدوحه وهو في المعترك يمتطي جواده بعقاب خفيف الحركة ويشبه ملوك الطوائف بطيور الحدأة إذ تتحاشى الاقتراب من طائر اللقوة وهو العقاب.

15- في ذكر طائر العنقاء

❖ يقول ابن الحداد الأندلسي: 48

ت1- وَتِلْكَ عَنْقَاؤُنَا وَافْتُكْ مُعْرِبَةً
بُحْسَتَهَا فَاسْتَوَى الْعُفْبَانُ وَالْجَدَاً
بَدْعُ مِنَ النَّظْمِ مَوْشِيٌّ الْخَلَى عَجَبٌ
تُنْسِي الْفُحُولَ وَمَا حَاكُوا وَمَا حَكَاوَا

وظف ابن الحداد الأندلسي في التركيب (ت1) طائر العنقاء وهو طير غريب يبعد في طيرانه، يقول القرويني: العنقاء أعظم الطير جنة وأكبرها خلقة، تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر.⁴⁹

يريد الشاعر بالعنقاء هنا شعره فيخبر المتلقي بأنه - شعره - قد جاء عجباً غريباً لا مثيل له فهو في إبداعه وحسنه يتميز عن غيره من المنظوم، كالعقاب والحدأة التي تتميز عن غيرها من الطيور، كما يخبر أن شعره بديع مُحكم السدى واللحمة، أنسي فحول الشعراء وما نظموه من شعر وقد وظف الشاعر جملة من الأفعال (وافتك، استوى، حاكوا، حكاوا) جاءت في زمن مضى وغرضها الإنجازي العام هو التقرير، إذ تنقل هذه الأفعال لذهن المتلقي صورة محددة عن واقعة معينة.

❖ يقول أبو إسحاق الإلبيري: 50

ت2- أَيُّ خَيْرٍ لَوَالِدٍ فِي بَنِيهِ
وَهُوَ عَنْهُمْ يَفِرُّ يَوْمَ الْجَزَاءِ
وَالْتَقَى الْمُوقِفُ الْبِرُّ مِنْهُمْ
عَدَمٌ كَالسَّمَاعِ بِالْعَنْقَاءِ

اقتبس الإلبيري البيتين في التركيب (ت2) من قوله تعالى: { فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ } يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ } وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ } وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ } لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ }.⁵¹

ليخبر المتلقي بأنَّ النَّقْصَ الموقَّع قليلٌ وربما عدمُ مثل السَّماع بطائر العنقاء، والأُمم كلها تضرب المثل بهذا الطَّائر في الشَّيء الذي يُسمَع به ولا يُرَى.

يلاحظ على ما ذكر من أبيات شعريَّة ورد فيها ذكر الطَّيُور أن شعراء القرن الخامس الهجري قد ذكروا أنواعا كثيرة من الطَّيُور، ولعلنا تعمَّدنا عدم ذكر طائر الحمام لكثرة وروده وذلك لنتيح الفرصة لذكر أنواع أخرى من الطَّيُور.

إن الغرض الإنجازي للإخباريات هو نقل المتكلم لواقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة وقد لمسنا هذا في مختلف الأبيات التي أوردناها، فالشُّعراء كلُّ يعبر عن واقعة معيَّنة بطريقة معيَّنة وقد تشابهت الدلالات واختلفت في بعض الأحيان، ولكن يبقى في الأخير حضور الطَّير رمزا مميزا جدًا لهذه الفترة من الأدب الأندلسي، التي سطع فيه نجم وصف الطَّبيعة بمختلف تجلياتها الساكنة، الصَّامتة والمتحرَّكة، لقد حقَّقت النماذج المختارة الهدف من الإخباريات في تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم وحيث الحالة النَّفسية هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوَّة.

لقد نقل الشُّعراء الوقائع نقلاً أميناً وعَبَّروا عنها تعبيراً صادقاً، فإذا ما تحقَّقت الأمانة في النَّقل فقد تحقَّق شرط الإخلاص وإذا تحقَّق هذا الأخير أنجزت الأفعال إنجازاً تاماً أو ناجحاً وإلا اعتبرت مجرد أخبار لا معنى لها، ونلمس ذلك من خلال العبارات التي اختارها الشُّعراء.

الإحالات والهوامش:

- 1- سورة النَّحل، الآية 79.
- 2- (أبو حيَّان الأندلسي) محمَّد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، د وتح وتغ عادل أحمد عبد الموجود، عليَّ محمَّد العوضي، ط1، ج5، دار الكتب العلميَّة، لبنان، بيروت، 1993، ص 506.
- 3- عبد الله بن محمَّد: حكايات الطَّيُور بين الشُّعوب، المجلَّة العربيَّة، مجلَّة الثَّقافة العربيَّة، ع 450، مايو 2014، ص 73.
- 4- عبد الله بن محمَّد: المرجع السَّابق، ص 74.
- 5- عبد الله بن محمَّد: المرجع نفسه، ص 75.
- 6- عبد الله بن محمَّد: المرجع نفسه، ص 75.
- 7- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيَّة، مصر، دط، 2002، ص 78-79.
- 8- فيليب بلانشيه: التَّداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتَّوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص 66.
- 9- خليفة بوجادي: في اللِّسانيات التَّداولية مقاربة بين التَّداولية والشُّعر دراسة تطبيقيَّة، بيت الحكمة للنشر والتَّوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2012، ص 147.
- 10- ابن الحَدَّاد الأندلسي: ديوان ابن الحَدَّاد الأندلسي ج وتح وش يوسف علي طويل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 231.
- 11- ابن خفاجة الأندلسي: ديوان ابن خفاجة الأندلسي تح عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 42-43.
- 12- ابن خفاجة الأندلسي: المرجع السَّابق، ص 62.
- 13- ابن دراج القسطلِّي: ديوان ابن دراج القسطلِّي تح محمود عليَّ مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ط1، 1961، ص 16.
- 14- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون تح عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 139.
- 15- عبد الجبَّار بن أبي بكر بن محمَّد بن حمديس الصَّقْلِي السَّرْقُوسِي، ديوان ابن حمديس تح جَلستينو سيكيباريلِّي، طبع في روميَّة الكبرى، 1897، ص 42.
- 16- ابن حمديس الصَّقْلِي، المرجع السَّابق، ص 77.

- 17- ابن اللبّانة الذاني: ديوان ابن اللبّانة الذاني تح محمد مجيد السعيد، دار الزّاية للنشر والتّوزيع، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، ط2، 2008، ص 132.
- 18- المعتمد بن عباد: ديوان المعتمد بن عباد تح أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد، المطبعة الأميريّة، القاهرة، مصر، دط، 1951، ص 100.
- 19- ابن حمديس، المرجع السابق، ص 43.
- 20- ابن خفاجة الأندلسي: المرجع السابق، ص 279.
- 21- ابن الرّقاق البلنسي: ديوان ابن الرّقاق البلنسي، تح عفيفة محمود ديواني، أطروحة قدّمت للدّائرة العربيّة في الجامعة الأمريكيّة في بيروت للحصول على شهادة الماجستير، 1964، ص 220.
- 22- ابن اللبّانة الذاني: المرجع السابق، ص 30.
- 23- ابن الحدّاد الأندلسي: المرجع السابق، ص 232.
- 24- ابن الحدّاد الأندلسي: المرجع السابق، ص 199-200.
- 25- ابن خفاجة الأندلسي: المرجع السابق، ص 185.
- 26- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون، المرجع السابق، ص 258.
- 27- ابن الحدّاد الأندلسي: المرجع السابق، ص 257.
- 28- ابن زيدون: المرجع السابق، ص 281.
- 29- ابن حمديس الصّقلّي، المرجع السابق، ص 89.
- 30- أبو إسحاق الإلبيري: ديوان أبي إسحاق الإلبيري تح محمد رضوان الدّاية، دار الفكر المعاصر ، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 115.
- 31- ابن الحدّاد الأندلسي: المرجع السابق، ص 173.
- 32- ابن اللبّانة الذاني: المرجع السابق، ص 76. (ورد هذا البيت أيضا في ديوان ابن حمديس، ص 478).
- 33- ابن الرّقاق البلنسي: المرجع السابق، ص 160.
- 34- ابن حمديس الصّقلّي: المرجع السابق، ص 185.
- 35- ابن حمديس الصّقلّي: المرجع نفسه، ص 203.
- 36- ابن خفاجة الأندلسي: المرجع السابق، ص 78.
- 37- ابن زيدون: المرجع السابق، ص 190.
- 38- ابن زيدون: المرجع السابق، ص 48.
- 39- ابن حمديس الصّقلّي: المرجع السابق، ص 196.
- 40- ابن زيدون: المرجع السابق، ص 285.
- 41- ابن حمديس الصّقلّي: المرجع السابق، ص 348.
- 42- ابن خفاجة الأندلسي: المرجع السابق، ص 118.
- 43- ابن زيدون: المرجع السابق، ص 192.
- 44- ابن الرّقاق البلنسي: المرجع السابق، ص 266.
- 45- المعتمد بن عباد: المرجع السابق، ص 41.
- 46- ابن الحدّاد الأندلسي: المرجع السابق، ص 109.
- 47- ابن الحدّاد الأندلسي: المرجع السابق، ص 120.
- 48- ابن الحدّاد الأندلسي: المرجع السابق، ص 136.
- 49- كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري: حياة الحيوان الكبرى تح إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، سوريا، ج3، ط1، 2005، ص 225.
- 50- أبو إسحاق الإلبيري: المرجع السابق، ص 98.
- 51- سورة عبس، الآيات من 33 إلى 37.